

الزمن عند أوغسطين وأصوله اليونانية

رسالة تقدم بها الطالب

هشام مطشر صالح الجبوري

الى
مجلس كلية الآداب – الجامعة المستنصرية

وهي جزء

من متطلبات نيل درجة ماجستير آداب في الفلسفة

بإشراف

أ.م.د محمد حسين عبد علي النجم

المستخلص

ودراستنا هذه هي محاولة لسبر غور هذا المفهوم و تتألف من محورين: المحور الاول يمثل رؤية أوغسطين لمفهوم الزمن ، اما المحور الثاني فيتمثل ببيان أثر الفلسفة اليونانية على رؤيته هذه من عدمها. ويرمي البحث إلى إبراز قيمة هذه الفكرة في فلسفته على نحو تفصيلي ، مع بيان صلتها وعلاقتها بالأفكار والنظريات التي وردت لدى كبار شعراء اليونان وفلاسفتهم. وتأتي أهمية هذه الدراسة من ان فكرة الزمن عند أوغسطين تمثل المرتكز الأساسي الذي من خلاله يمكن فهم معظم فلسفته ، سواء نظرته الى الذات الإلهية او فكرة الوجود او العقائد الاساسية في الديانة المسيحية... الخ هذا من جانب ، ومن جانب آخر، فإن فكر أوغسطين يمثل ذروة فكر مرحلة آباء الكنيسة الاوائل ، مما يعني ان فكر الرجل هو فكر ديني مؤسس على العقيدة والإيمان قبل ان يكون فكرا فلسفيا ، ومن ثم فإن مشكلة البحث تتمحور حول وجود الأثر اليوناني في فكرة أوغسطين الزمنية أو انعدامها، لاسيما ان الفلسفة اليونانية قائمة على مبادئ عقلية صرفة ليس لمبادئ الدين عليها من سلطان.

وجاءت الرسالة مكونة من أربعة فصول وكل فصل يحوي مبحثين أو أكثر بحسب مطلب كل فصل ، وقد خصص الفصلان الاول والثاني لبحث فكرة الزمن في الحضارة اليونانية ، كون هذه المدة هي مدة طويلة وتحوي على مدارس عدة و فلاسفة ونظريات مختلفة. في حين ان الفصلين الاخيرين خصصا لدراسة هذا المفهوم عند أوغسطين فضلا عن أحتوائهما على الاشارات والتنبهات الخاصة بفحوى الرسالة المتمثلة ببيان الأثر اليوناني في مفهوم الزمن عند هذا المفكر. ويحوي الفصل الاول مبحثان ، المبحث الأول تناولنا به مفهوم الزمن في الميثولوجيا اليونانية لدى هومر وهزiod والنحلة الأورفية ، اما المبحث الثاني فقد تناول مفهوم الزمن عند الفلاسفة قبل افلاطون. والفصل الثاني تكون من مبحثين : المبحث الاول تناول مفهوم الزمن عند أفلاطون و أرسطو ، وجاء في المبحث الثاني مفهوم الزمن لدى المدارس الرئيسية في العصر الهلنستي والمتكونة من الرواقية والابيقورية و الافلاطونية المحدثة والمتمثلة بأفلوطين ، فضلا عن أبرز الأفكار التي قدمها فيلون الاسكندري والتي كان لها الأثر البالغ في فكر أفلوطين و أوغسطين. في حين ان الفصل الثالث تناول فكرة الزمن عند أوغسطين والمفاهيم المتداخلة معه ، وجاء في ثلاثة مباحث تناول المبحث الاول مشكلة خلق العالم وعلاقتها بالزمن ، وقمنا في المبحث الثاني بدراسة فكرة اللوغوس وارتباطها بالزمن ، وخصصنا المبحث الثالث لمعرفة رأي أوغسطين في جوهر الزمن وماهيته الخاصة بقياسه.

وفي الفصل الرابع تناولنا مفهوم الأبدية عند أوغسطين و المفاهيم المرتبطة بها ، وقد تكون هذا الفصل من مبحثين : الاول عني بأبراز العلاقة بين الأبدية من جهة والذات الالهية / الثالث من جهة اخرى ، في حين تناول المبحث الثاني نوعاً آخر من انواع الأبدية تمثلت ب"الحياة الأخرى" ، وكان اثبات هذا النوع عند أوغسطين بطرق عدة منها: علاقة الخطيئة بالزمن ، و نفي الفكرة اليونانية في العود الأبدى لإثبات الزمن المستقيم .. الخ. ثم إن هنالك نوعاً من أنواع الزمن يتأرجح فيما بين أزلية الله من جهة ، و زمن خلق العالم من جهة اخرى ، وهو زمن الملائكة ، والذي حاولنا إبرازه بما توافرت لنا من نصوص لأوغسطين ، وقد اطلق عليه الباحث تسمية " زمن اللانظام".

واعتمد الباحث المنهج التحليلي المقارن في إجراء هذا البحث ، ومهدنا للرسالة بالبحث في المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الزمن من جهة ، و بيان ابرز المحطات الفكرية والتاريخية للمفاهيم التي سيكون لها الدور الرئيسي في بلورة فكرة الزمن عند أوغسطين وهي ذاتها المفتاح لفهم الاثر اليوناني المنشود في هذه الرسالة. وختمت

الرسالة بنتائج توصل اليها الباحث ، فضلا عن مناقشة أبرز الافكار التي وردت عند هذا المفكر وعلاقتها بالفلسفة اليونانية.

بعد هذه الرحلة الطويلة بين اروقة العصور المختلفة ، والتي ابتدأناها بالميثولوجيا اليونانية وانهيانها بأوغسطين عميد دراستنا ومحورها ، يمكن هنا أن نؤشر ما توصلنا اليه من نتائج بشأن مواطن تشابه واختلاف الرؤى بنقاط عدة بين فكر أوغسطين وفكر الفلاسفة اليونان :

١- لقد تأكد لنا ان أوغسطين استقى معظم افكاره من الفلسفة اليونانية سواء عن الطريق المباشر او الطريق غير المباشر اللذين أشرنا اليهما في التمهيد. ذلك ان النظريات التي طرحها - من مثل علاقة الزمن بالخلق و النظرية البذرية و اللوغوس والثالوث و الخطيئة و خلود النفس و العودة الى الحياة الابدية .. الخ - هي نظريات على بساط البحث سواء في الفلسفة اليونانية أو في فكر الآباء السابقين عليه ، بل حتى أن نظريته التي امتاز بها، التي تؤكد على ذاتية الزمن لها جذور من قريب او من بعيد بالفلسفة اليونانية ، الا ان هذا لا يعني الانتقاص من فكر أوغسطين الثاقب فهو قد استطاع بذكاء ان يصوغ من كل هذه النظريات والأفكار المختلفة نظرية متماسكة.

٢- إن ثنائية الزمن والابدية التي بحثها أوغسطين لم تأت من فراغ ، بل هي مسألة مطروحة على طول الخط الفكري اليوناني ابتداءً بالميثولوجيا ومرورا بالفكر الفلسفي ما قبل افلاطون وما بعده ، فقد راينا ان كرونوس يمثل العصر الذهبي " عصر الابدية " السابق للزمن المرتبط بالحركة والتغير والذي ابتدأ هذا الاخير (الزمن الحركي) بانتصار زيوس على ابيه كرونوس وخلق الجنس البشري الذي جعله هزيود مؤسساً على اجيال معدنية. بينما عصر الفلاسفة ما قبل افلاطون قد اعطى تصور اكثر وضوحا من الميثولوجيا حول هذه الثنائية ، فقد اتفقوا - بمنطق اكثر وضوحا من الميثولوجيا - على ان الزمن مقترن بالحركة ، وهي اشارة مهمة الى ظهور التحول من (الديمومة) او الزمن اللانهائي الذي يعيشه الاصل المفترض من الفيلسوف ، الى الزمن النهائي المتغير والمحدد الذي تعيش في كنفه الكائنات. وتجلت هذه الثنائية بصورتها النهائية مع افلاطون وارسطو وأفلوطين حيث فرق هؤلاء بين الابدية والزمن وجعلوا الابدية مقرونة بالوحدة والسكون اما الزمن فهو مرتبط بالحركة والتغير، وقد وجدنا عند ارسطو - على سبيل المثال - نوعين من الزمان النوع الاول هو النوع المطلق المتعلق بالابدية، وهو زمان الموجودات الخالدة كالمحرك الاول والعقول المفارقة . اما النوع الثاني فهو الزمان الكوني الذي يرتبط بالحركة والتغير .

وبالمقابل ربط أوغسطين الزمان بالحركة والتغير، وهي محصلة الموجودات المخلوقة من قبل الله ، بينما الابدية مرتبطة بالذات الالهية التي لا تسري عليها الحركة ، ولا يشوبها النقص والتغير. فبالنسبة للأبدية: فهو اثناء بحثه عن ماهية الزمن ، نجده ينشد الابدية بوقوف الفكر لبرهنة في الحاضر، كما سنقرا في النص القادم ، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على فهم أوغسطين لمفهوم الابدية عند الفلاسفة اليونان ، وبارمنيديس على وجه الخصوص . اما بالنسبة للزمن الطبيعي : فنلاحظ ربطه ب(الحركة) كما قلنا ، المفهوم الذي من الصعب تجاوزه من اي فيلسوف ، حتى ان كان عبقرياً كأرسطو. و ما يدل على هذه الثنائية هو بداية الفصل الحادي عشر من الاعترافات ، حيث يؤكد ان الزمن خاص بالعالم ، اما الابدية فهي الصفة الطبيعية للذات الالهية ، يقول أوغسطين : (من ذا يقدر ان يضبط هذه الفكرة ويجمدها فتقف قليلا وتدرك قليلا بها الازلية الثابتة ، الابدية ، ويقارن بينها وبين حركة الزمن الدائمة ، فيجد ان لا وجه للشبه بينهما ، وان الزمن مهما طال فطوله منوط بتتابع الحركات التي لا تستطيع ان تتوسع معاً ، بيد ان

الازل لا يتضمن البتة تتابعاً ، بل كل شيء فيه حاضر بآن واحد بعكس الوقت (١) ونقرأ كذلك في الاعترافات حديث يؤكد على ان الزمان مرتبط بالحركة ، ذلك حين يتكلم أوغسطين عن الوضع القائم بعد خلق السماء والارض : (فالتقلب يرينا الوقت ويجعلنا نقيسه ، ذلك ان الوقت يتركب من حركات الاشياء ، من تقلبات الظواهر وتطوراتها القائمة على هذه المادة الارضية اللامرئية) (٢) كذلك يقول : (ان الزمن خاص بالأحداث التي تجري خلال تتابع اللحظات ، خلافاً للأبدية التي هي محل المعقولات اللاحسية) (٣).

٣- وجدنا ان مفهوم اللوغوس اليوناني اصبح عند أوغسطين بما يحمل من ارتباط بفكرة الزمن والأبد والتي اشرفنا اليها في الفصول السابقة متجسداً - عن طريق انجيل يوحنا ورسائل بولس الرسول واللذان بدورهما كانا متأثران بالفلسفة اليونانية كما اشرفنا في حينه - في المسيح ابن مريم ، فهو ابن الله /الكلمة والواسطة في خلق العالم ، فبالابن وعن الابن وفي الابن ظهر كل شيء ، ويكاد يتفق مفهوم اللوغوس عند أوغسطين مع مفهومه سواء في الفلسفة اليونانية او مع فيلون ، اذا استثنينا ان أوغسطين يعني بالكلمة الاقنوم الثاني والذي هو المسيح .

٤- لقد استفاد أوغسطين من النظرية البذرية التي طرحها الفكر اليوناني. ذلك في تأويله لعملية الخلق المستمرة ، ورفع العمل الزمني عن الذات الالهية.

٥- تأثر أوغسطين بمنهج التأويل الرمزي للكتاب المقدس الذي استخدمه فيلون من قبل لتفسير التوراة ، وقد دمج نظرية افلاطون وأفلوطين في خلق الزمان مع العالم مع تأويل فيلون للأيام الستة الواردة في سفر التكوين ، فاعتبر الزمن له بداية ، وبدايته هي بداية خلق الكون تماماً كما قال افلاطون ، الا ان الاختلاف فيما بينهما كان في قدم المادة كما مر .

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٢) ينظر: أوغسطين ، في الثالث، ١٢-٢٣-٢٤ نقلا عن كلود فريس، جان، أوغسطين، المرجع السابق ، ص ١٠٤.